الفصل الرابع

الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية في كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- إلى الأشتر النخعي لما ولاه مصر

الفصل الرابع

الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية في كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- إلى الأشتر النخعي لما ولاه مصر

تمهيـــد

١- نشرت منذ حوالي عشر سنين دراسة عن الصحيفة أو دستور المدينة في مجلة الجمعية المصرية للقانون الدولي ، بعد أن تحدثت عنها في محاضرة عامة ألقيتها بهذه الجمعية، وقدمها وعلق عليها المغفور له بإذن الله الدكتور محمد طلعت الغنيمي، كانت لغة الصحيفة تختلف عن اللغة التي نستخدمها اليوم في كتاباتنا القانونية؛ لأنها كتبت منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، إذ إن الوثيقة المذكورة أعلنها الرسول علية الصلاة والسلام في تأسيسه لدولة المدينة في العام الأول للهجرة. وكانت هذه الوثيقة كما وصفها بعض المستشرقين أمراً مهمًا أو " لقيه " على حد تعبيره. فلم يكن لأحد أن يتوقع أن يجد وليقة تُليت في منزل يهودية هي –دمنة بنت الحارب – وشهدها ووافق عليها أهل المدينة بمختلف بطونهم وطوائفهم من يهود ووثنيين ثم مهاجرين وأنصار.

٢- وكان البعد السياسي المهم في الوثيقة هو التنبه إلى فن إنشاء المجتمع السياسي الذي يقوم على توحيد شعب ذي ديانات وأصول مختلفة في ظل دولة عقائدية هي الدولة الإسلامية وأن يكون الأساس الذي يجمع هذا الشعب،هو الموافقة على " دستور " يعطي الحقوق ويفرض الواجبات ، ويحدد العلاقات بين السكان وما يجب أن تكون عليه وكذلك يحدد العلاقة بين أصدقاء الدولة وأعدائها في عمل قانوني غير مسبوق على حد علمي.

وكنت آمل أن أستمر في نشر وثائق من نفس الأهمية بعد دراستها والتعليق عليها وتحديد الأبعاد القانونية فيها وتقريبها من اللغة القانونية المستخدمة في الوقت الحاضر.

٣- وقد كان السبب الرئيسي في عقد ندوة عن حقوق الإنسان في الإسلام في مدينة الرياض هو إظهار مبادئ ومفاهيم الإسلام المثبوتة في الوثائق لأسباب عديدة هي:

أ- إن هذه الوثائق ذات أهمية فائقة في تحديد رؤية المسلمين لحقوق وواجبات المواطن في الدولة الإسلامية سواء أكان مسلماً أم غير مسلم.

ب- إن هذه الوثائق لم تنل حظها في الدراسات العديدة التي تمت حول الإسلام وشريعته ومصادرها ونظرته للإنسان وحفظه لكرامته.

ج- إن هذه الوثائق تكشف عن رؤية صائبة وبُعد رأي ونفاذ بصيرة لدى المسلمين وقادتهم ، وتمثل سبقاً في تناول قضايا وموضوعات لم يقم به غير المسلمين إلابعد سنوات أو قرون عديدة.

د- إن قضايا حقوق الإنسان وحرياته قد تم تناولها في السنوات الأخيرة بشكل مكثف وتم مناقشة الوثائق الدولية الحديثة فيها ومقارنتها بمبادئ الإسلام في هذا الخصوص ، لكن الوثائق التي صدرت عن الدولة الإسلامية وحكامها وحكمائها وقادتها لم يتم تناولها بالشكل المطلوب.

لذا سيكون أحد المحاور المهمة لهذه الدراسة هو تناول وثائق متصلة اتصالاً وثيقاً بحقوق الإنسان وحرياته وبما تم التعبير عنها بلغة مختلفة.

وفي إطار يتناسب مع حقائق الإسلام ، ودور العقيدة الإسلامية في صياغة مختلف الأحكام التشريعية والدستورية والقانونية بشكل عام.

٤- ويهمني أن أتناول إحدى الوثائق المهمة الآن ، هي هذا الكتاب المهم الذي وجهه الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- إلى واليه على مصر الأشتر النخعي ، بعد أن اضطربت الأحوال في عهد الوالي السابق محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، إن الكتاب يمثل وثيقة مهمة من وثائق الدولة الإسلامية، ويضع أسساً يجب على الحكام جميعهم أن يراعوها في علاقاتهم بالشعب الذي يحكمونه، وقد اهتم الإمام محمد عبده بهذا الكتاب ووجد أنه يستحق الشرح والتوضيح، كما أن الشيخ أحمد محمد أحد الكتاب الذين عملوا في مكتبة الأزهر قد تنبه إلى أهميته فأخرجه من كتاب مطول لكي يسهل تداوله ويقبل العلماء على دراسته وتناوله، ويسعدني أن أوضح الأبعاد المتصلة بحقوق الإنسان وحرياته في هذا الكتاب.

* وقبل قيامي بهذا التناول يسعدني أن أوضح الحقائق التالية:

١- إن روح العقيدة الإسلامية والتي تتجلى في وجوب التقرب من الله ، وجعل كل ما يفعله الإنسان المؤمن من خير يبتغي به ثواب الله واتقاء عذابه ، واضحة تمام الوضوح في هذه الوثيقة وهو بعد لا نجده في الوثائق الحديثة التي تتناول حقوق الإنسان وحرياته.

وهي وثائق الأساس الأول فيها هو الفصل بين الأحكام القانونية والدستورية وبين أحكام الدين والعقيدة، أي الأساس العلماني.

٢- إن هناك العديد من الحقوق التي لا نجدها في المفاهيم التقليدية لنظرية الحقوق والحريات العامة بالمفاهيم الغربية. وهذه مسألة مهمة يجب أن نتنبه إليها من الآن، فلا شك أن صياغة الحقوق بالمفاهيم الغربية الحديثة يختلف عن الصياغة التي تولاها فقهاء المسلمين ، وهنا فإنه يمكننا دائماً أن نستدعي الصياغات الإسلامية للحقوق والحريات، ونوطن أنفسنا على استخدامها، كما أننا يمكن أن نتحدث عن حقوق وردت في الوثائق الإسلامية لا نجدها في المواثيق الحديثة.

٣- إن هذا الكتاب يركز على الحقوق السياسية، وبالذات على تلك الحقوق التي يجب أن يراعيها الحاكم في تعامله مع المحكومين، ومن هنا فإننا نقول: إن الحكم بالتشريعات التي أنزلها الله على رسوله أحد حقوق الإنسان، ورد المشكلات التي تواجه الحاكم ولا يجد لها حكماً صريحاً في كتاب أو سنة إلى الله هو حق من حقوق الإنسان، بل إن تطبيق شريعة الله في الأرض هي أول وأهم حقوق الإنسان؛ لأنها تخرج الناس من عبادة الإنسان إلى عبادة الله، وتحقق لقصى قدر من السمو الخلقي في تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان.

كذلك تهتم هذه الوثيقة اهتماماً بالغاً بتنبيه الحاكم إلى ضرورة تقوى الله ، بما يحمله هذا المعنى من الخوف من الله ومراعاة ما يجب علينا من أمور في تعاملاتنا مع بعضنا البعض ، ويسود في الوثيقة ضرورة تحقيق العدالة والإنصاف في المجتمع الإسلامي وهو في تقديري من أهم حقوق الإنسان التي ربما لا نجد تعبيراً مباشراً عنها في الوثائق الحديثة، ونظراً للطابع السياسي لهذه الوثيقة ولأنها صدرت في وقت اضطربت فيه الأمور وكان المسلمون يعيشون في ظل الفتنة الكبرى عقب مقتل عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، والتنازع على الخلافة بين الإمام علي -كرم الله وجهه- ، ومعاوية بن أبي سفيان ، فنجد اهتماماً واضحاً بالشروط الواجب توافرها فيمن يتولى أمر المسلمين ، وبالواجبات المتبادلة بين الراعي والرعية وبالأسلوب الذي يجب أن يتم التعامل به مع العمال والزرّاع وأصحاب الحرف.

كذلك تعتبر من حقوق الإنسان اختبار الأصلح لحكمهم ، ومن حقوقهم أيضاً أن يكون أخذ حقوق الدولة وفقاً للشرع الإسلامي مع الترفق بضعيفهم ، وعدم إرهاق أحد في تحصيل الزكاة أو الخراج.

وهكذا نمضي في تتبع الحقوق والواجبات التي تحتويها هذه الوثيقة المهمة من وثائق الدولة الإسلامية. ونبدأ بعرض نص الوثيقة وشرح الإمام محمد عبده لها ، ثم نتناول بالتفصيل مبادئ حقوق الإنسان التي وردت فيها.

نص الوثيقـــــة

* مقدمـــــة

مقتبس السياسة وسياج الرياسة:

كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه ورضي عنه– إلى الأشتر النخعي لما ولاه على مصر حين اضطرب محمد بن أبي بكر وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن.

شرح ألفاظه اللغوية حضرة صاحب الفضيلة العالم الكامل الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي أفندي الديار المصرية شرحاً غايةً في الإيجاز والإفادة وقد أذن حفظه الله بطبعه.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يهنأ مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه.

وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها[1] عند الجمحات فإن النفس أمارة بالسوء إلا من رحم الله، ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلا بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدلٍ وجور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على الصالحين بما يجزي الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح.

---

(١) ويزعها أي يكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح والشرع الصريح.

فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك[٢] فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل[٣] وتعرض لهم العلل ويؤتى [٤] على أيديهم في العمد والخطأ فاعطهم من عفوك وصفحك الذي تحب أن يعطيك الله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم[١] وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدري لكونه لا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفوٍ ولا تبجحن بعقوبة[٢] ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع[٣] فإن ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير. وإذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة [٤] فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماجك[٥] ويكف عنك من غربك ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته[٦] والتشبه به في جبروته فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال، أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حجته[٧] وكان الله حرباً حتى ينزع و يتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من ظل على ظلمه فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد. وليكن أحبُّ الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في

---

(١١٧) شح ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب، بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك في الحق قرب محبوب يعقب هلاكاً ومكروه يحمد عاقبة.

(١١٨) يفرط: يسبق والزلل الخطأ.

(١١٩) يؤتى مبني للمجهول نائب فاعله على أيديهم وأصله تؤتي السيئات على أيديهم إلخ.

(١٢٠) أراد بحرب الله: مخالفة شريعته بالظلم والجور ولا يدي لك بنقمه أي ليس لك يدان تدفع نقمته أي لا طاقة لك بها.

(١٢١) بجح به: أي فرح به لفظاً ومعنى والبادرة ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل والمندوحة المتسع أي المخلص.

(١٢٢) مؤمر: كمعظم أي مسلط ، والإدغال أي إدخال الفساد ، ومنهكة أي مضعفة نهكه أي أضعفه ، والغتر بكسر ففتح حادثات الدهر بتبدل الدول. والاغترار بالسلطة تقرب منها أي تعرض للوقوع فيها.

(١٢٣) الأبهة: بضم الهمزة وبشديد الباء مفتوحة العظمة والكبرياء والمخيلة بفتح فكسر الخيلاء والعجب.

(١٢٤) الطماج: ككتاب النشوز والجماح ويطامن أي يخفض منه والغرب بفتح فسكون الحدة ويفيء يرجع إليك بما عزب أي غاب من عقلك.

(٦) المساماة: المباراة في السمو أي العلو.

٧) من لك فيه هوى: أي لك إليه ميل خاص.

العدل وأجمعها لرضي الرعية فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة وإن سخط الخاصة [٨]يغتفر مع رضى العامة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره.

للإنصاف وأسأل بالإلحاف [٩]وأقل شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة[١٠] وإنما عماد الدين وجماع المسلمين [١١]والعدة للأعداء العامة من الأعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم. ليكن أبعد رعيتك منك وأشناهم عندك أطلبهم لمعائب الناس[١] فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها[٢] فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك، أطلق عن الناس عقدة كل حق[٣] واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين، ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل[٤] ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشر بالجور، فإن البخل والجبن والحرص من غرائز شتى[٥] يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة [٦]فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة وأنت وأجد منهم خير الخلف[٧] ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم[٨] ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً

١٨دحض: أبطل وحرباً أي محارباً وينزع كيضرب اي يقلع عن ظلمه يجحف أي يذهب برضى الخاصة فلا ينفع الثاني معه أما لو أسخط الخاصة ورضى العامة فلا أثر لسخط الخاصة فهو مغتفر.

٩) الإلحاف: الإلحاح والشدة في السؤال.

١٠ من أهل الخاصة متعلق بأثقل وما بعده من أفاعل التفضيل.

١١ جماع الشيء بالكسر جمعه أي جماعة الإسلام. والعامة خبر عماد وما بعده.

(١) أشناهم: أغضبهم والأطلب للمعائب الأشد طلباً لها.

(٢) ستر فعل ماض صلة من أي أحق الساترين لها بالستر.

(٣) أي أحل لعقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم واقطع عنك أسباب الأوتار أي العداوات بترك الإساءة إلى الرعية والوتر بالكسر العداوة وتغاب أي تغافل والساعي هو النمام بمعائب الناس.

(٤) الفضل هنا الإحسان بالبذل ويعدك يخوفك من الفقر لو بذلت والشر هو بالتحريك أشد الحرص.

(٥) غرائز طبائع متفرقة تجتمع في سوء الظن بكرم الله وفضله.

(٦) بطانة الرجل بالكسر خاصته وهو من بطانة الثوب خلاف ظهارته والأثمة جمع آثم فاعل الإثم أي الذنب والظلمة جمع ظالم.

(٧) منهم متعلق بالخلف أو متعلق بواجد ومن مستعملة في المعنى الاسمي بمعنى بدل.

(٨) الآصار جمع إصر بالكسر وهو الذنب والاثم وكذلك الأوزار.

على إثمه أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك ألفاً[٩] فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك[١٠] وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً من هواك حيث وقع[١١] وألصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ألا يطروك [١٢]ولا يجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة.

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه [١].

واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راعٍ برعيته من إحسانه إليهم [٢]وتخفيفه المؤونات عنهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم[٣] فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً[٤] وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده[٥].

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، ولا تُحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنَّها والوزر عليك بما نقضت منها وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء [٦]في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله.

---

(٩) الألف بالكسر الألفة والمحبة.

(١٠) ليكن أفضلهم لديك أكثرهم قولاً بالحق المر ومرارة الحق صعوبته على نفس الوالي.

(١١) واقعاً حال مما كره الله أي لا يساعدك على ما كره الله حال كونه نازلاً من ميلك إليه أي منزلة أي وإن كان من أشد مرغوباتك.

(١٢) رضهم أي عودهم على ألا يطروك أي يزيدوا في مدحك ولا يبجحوك أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك ولم تكن فعلته والزهو بالفتح العجب وتدني أي تقرب من العزة أي الكبر.

(١) فإن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب والمحسن ألزم استحقاق الكرامة.

(٢) إذا أحسن الوالي إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له فإن الإحسان قياد الإنسان فيحسن ظنه بهم بخلاف ما لو أساء إليهم فإن الإساءة تحدث العداوة في نفوسهم فينتهزون الفرصة لعصيانه فيسوء ظنه بهم.

(٣) قبلهم بكسر ففتح أي عندهم.

(٤) النصب بالتحريك التعب.

(٥) البلاء هنا الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً وتفسير العبارة واضح مما قدمنا.

(٦) المناقشة المحادثة.

ومنها كتاب العامة والخاصة[٧] ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلاً قد سمى الله سهمه[٨] ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه و آله عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم [٩]. ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد[١] ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم[٢] ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم[٣] وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام و الاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل، فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك وأنقاهم جيباً[٤] وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرؤف بالضعفاء وينبو على الأقوياء [٥]وممن لا يثيره

---

(٧) كتاب كرمان جمع كاتب والكتبة منهم عاملون للعامة كالمحاسبين والمحررين في المعتاد من شؤون العامة كالخراج والمظالم ومنهم مختصون بالحاكم يفضي إليهم بأسراره ويوليهم النظر فيما يكتب لأوليائه وأعدائه وما يقرر في شؤون حربه وسلمه مثلاً.

(٨) سهمه: نصيبه من الحق.

(٩) أي يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها.

(١) هو وما بعده نشر على ترتيب اللف. والمعاقد العقود في البيع والشراء وما شابهها مما هو من شأن القضاة.وجمع المنافع من حفظ الأمن وجباية الخراج وتصريف الناس في منافعهم العامة ذلك شأن العمال.والمؤتمنون هم الكتاب.

(٢) الضمير للتجار وذوي الصناعات أي أنهم قوام لمن قبلهم بسبب المرافق أي المنافع التي يجتمعون لأجلها ولها يقيمون الأسواق. ويكفون سائر الطبقات من الترفق أي التكسب بأيديهم مالا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات.

(٣) رفدهم مساعدتهم وصلتهم.

(٤) جيب القميص طوقه ويقال نقي الجيب أي طاهر الصدر والقلب والحلم والعقل.

(٥) ينبو يشتد وعلو عليهم ليكف أيديهم عن ظلم الضعفاء.

العنف ولا يقعد به الضعف. ثم الصق بذوي الأحساب[٤] وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به [٥]ولا تحقرن لطفاً تعاهدتم به[٦] وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

وليكن آثر رؤوس جندك عندك[٧] من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم، ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو فإن عطفك عليهم[١] يعطف قلوبهم عليك وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم[٢] وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم[٣] فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله، ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ولا

---

(٦) ثم الصق الخ تبيين للقبيل الذي يؤخذ منه الجند ويكون منه رؤساؤه وشرح لأوصافهم وجماع من الكرم مجموع منه. وشعب بضم ففتح جمع شعبة. والعرف المعروف.

(٧) تفاقم الأمر عظم أي لا تعد شيئاً قويتهم به غاية في العظم زائداً عما يستحقون فكل شيء قويتهم به واجب عليك إتيانه وهم مستحقون لنيله.

(٨) أي لا تعد شيئاً من تلطفك معهم حقيراً فتتركه لحقارته بل كل تلطف وإن كل قله موقع من قلوبهم.

(٩) آثر أي أفضل وأعلى منزلة. فليكن أفضل رؤساء الجند من واسى الجند أي ساعدهم بمعونته لهم. وأفضل عليهم أفاض وجاد من جدته. والجدة بكسر ففتح الغني والمراد ما بيده من أرزاق الجند وما سلم إليه من وظائف المجاهدين لا يقتر عليهم في الفرض ولا ينقصهم شيئاً مما فرض لهم بل يجعل العطاء شاملاً لمن تركوهم في الديار من خلوف الأهلين جمع خلف بفتح فسكون من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال.

(٢) عليهم أي على الرؤساء.

(٣) حيطة بكسر الحاء من مصادر حاطه بمعنى حفظه وصانه أي بمحافظتهم على ولاة أمورهم وحرصهم على بقائهم وأن لا يستثقلوا دولتهم ولا يستبطئوا انقطاع مدتهم بل يعدون زمنهم قصيراً يطلبون طوله.

(٤) ما صنع أهل الأعمال العظيمة منهم. فتعديد ذلك يهز الشجاع أي يحركه للإقدام ويحرض الناكل أي المتأخر القاعد.

تضيفن بلاء امرئ إلى غيره[٤] ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً.

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب[٥] ويشتبه عليك من الأمور فقد قال تعالى لقوم أحب إرشادهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) فالرد إلى الله الأخذ بمحكم[٦] كتابه والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة[٧]. ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك[٨] في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم[٩] ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه[١٠] ولا تشرف نفسه على طمع[١١] ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه[٨] أوقفهم في الشبهات[٩] وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور وأصبرهم عند اتضاح الحكم ممن لا... ،،،

يزدهيه إطراء[١] ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه[٢] وأفسح له في البذل ما يزيل علته[٣] وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة

---

(٥) لا تنسبن عمل امرئ إلى غيره ولا تقصر به في الجزاء دون ما يبلغ منتهى عمله الجميل.

(٦) ضلع فلاناً كمنع ضربه في ضلعه والمراد ما يشكل عليه.

(٧) محكم الكتاب نصه الصريح.

(٨) سنة الرسول كلها جامعة ولكن رويت عنه سنن افترقت بها الآراء فإذا أخذت فخذ بما أجمع عليه مما لا يختلف في نسبته إليه.

(٩) ثم اختر إلى انتقال من الكلام في الجند إلى الكلام في القضاة.

(١٠) أمحكه جعله محكاناً أي عسر الخلق أو أغضبه أي لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه والزلة بالفتح السقطة في الخطأ.

(١١) حصر كفرح ضاق صدره أي لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.

(١٢) الإشراف على الشيء الإطلاع عليه من فوق فالطمع من سافلات الأمور من نظر إليه وهو في أعلى منزلة النزاهة لحقته وصمة النقيصة فما ظنك بمن هبط إليه وتناوله.

(١٣) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقر به دون أن يأتي على أقصى الفهم بعد التأمل.

(١٤) هذا وما بعده إتباع لأفضل رعيتك. والشبهات مالا يتضح الحكم فيها بالنص فينبغي الوقوف عن القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح والتبرم الملل والضجر. وأصرمهم اقطعهم للخصومة.

(١) لا يزدهيه: لا يستخفه زيادة في الثناء عليه.

(٢) تعاهده تتبعه بالاستكشاف والتعرف و ضمير قضائه لأفضل الرعية الموصوف بالأوصاف السابقة.

(٣) البذل والعطاء أي أوسع له حتى يكون ما يأخذه كافياً لمعيشة مثله وحفظ منزلته.

لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[٤] ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً، بليغاً فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى.ويطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً[٥] ولا تولهم محاباة وأثره فإنها جماع من شعب الجور والخيانة وتتوخ منهم أهل التجربة والحياء[٦] من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إشرافاً وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق[٧].

فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[٨] ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم[٩] فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم[١٠] على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك[١١] اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، ولكن نظرك في عمارة الأرض وأبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب

---

(٤) إذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة فلا يجرؤ أحد على الوشاية به عندك خوفاً منك وإجلالاً لمن اجتللته.

(٥) ولهم الأعمال بالامتحان لا محاباة أي اختصاصاً وميلاً منك

(٦) توخ أي اطلب وتحر أهل التجربة الخ والقدم بالتحريك واحدة الأقدام أي الخطوة السابقة وأهلها هم الأولون.

(٧) أسبغ عليه الرزق أكمله وأوسع له فيه.

(٨) نقصوا في أدائها وخانوا.

(٩) العيون الرقباء.

(١٠) حدوة أي سوق لهم وحث.

(١١) اجتمعت الخ أي اتفقت عليها أخبار الرقباء.

الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً فإن شكوا ثقيلاً[1] أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق وأجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. ولا يثقلن عليك شيء خففت به المئونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم[2] معتمداً أفضل قوتهم[3] بما ذخرت عندهم من أجمامك لهم والثقة منهم بما عوتهم من عدلك في رفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به[4] فإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض من أعواز أهلها وإنما يعوز أهلها الإشراف أنفس الولاة على الجمع[5] وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر. ثم انظر في حال كتابك[6] فول على أمورك خيرهم وأخص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق[7] ممن لا تبطره الكرامة فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ...،، ولا تقصر به الغفلة[8] عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك[9] ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور

---

(١) إذا شكوا ثقل المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بثمراته أو انقطاع شرب بالكسر أي ماء في بلاد تسقي بالأنهار أو انقطاع بالة أي بلل الأرض من ندى ومطر فيما تسقي بالمطر أو إحالة أرض بكسر همزة إحالة أي تحويلها البذر إلى فساد بالتعفن لما اغتمرها أي عمها من الغرق فصارت غمقة كفرحة أي غلب عليها الندى والرطوبة حتى صار البذور فيها غمقاً ككتف أي له رائحة خمة وفساد ونقصت لذلك غلاتهم أو أجحف العطش أي ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم تنبت فعليك عند الشكوى أن تخفف عنهم.

(٢) التبجح السرور بما يرى من حسن عمله في العدل.

(٣) أي متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند إليه عند الحاجة وأنهم يكونون سنداً بما ذخرت به عندهم من أجماحك أي إراحتك لهم. والثقة منصوب بالعطف على فضل.

(٤) طيبة بكسر الطاء مصدر طاب وهو علة لاحتملوه أي لطيب أنفسهم باحتماله فإن العمران ما دام قائماً ونامياً فكل ما حملت أهله سهل عليهم أن يحتملوا والأعواز الفقر والحاجة.

(٥) لتطلع أنفسهم إلى جمع المال ادخاراً لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا.

(٦) ثم انظر الخ انتقال من الكلام في أهل الخراج إلى الكلام في الكتاب جمع كاتب.

(٧) بأجمعهم متعلق بأخص أي ما يكون من رسائلك أو بالشيء من المكائد للاعتداء وما يشبه ذلك من أسرارك فاخصصه بمن فاق غيره في جمع الأخلاق الصالحة ولا تبطره أي لا تطغيه الكرامة فيتجرأ على مخالفتك في حضور ملأ وجماعة من الناس فيضر ذلك بمنزلتك منهم.

(٨) لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من عمالك ولا في إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب بل يكون من النباهة والحذق بحيث لا يفوته شيء من ذلك.

(٩) أي يكون خبيراً بطرق المعاملات بحيث إذا عقد لك عقداً في أي نوع منها لا يكون ضعيفاً بل يكون محكماً جزيل الفائدة لك وإذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد.

فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، ثم لا يكون اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك[1] وحسن الظن منك فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم[2] وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم[3] لا يقهره كبيرها ولا يشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته[4]. ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات[5] وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله[6] والمترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلا بها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبالك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها[7] ولا يجترئون عليها. فإنهم سلم لا تخاف بائقته[8] وصلح لا تخشى غائلته وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً[9] واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة.

فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع[10] فمن قارف حكره بعد نهيك إياه[11]. فنكل به وعاقب في غير إسراف.

---

(١) الفراسة بالكسر قوة الظن وحسن النظر في الأمور والاستنامة السكون والثقة أي لا يكون انتخاب الكتاب تابعاً لميلك الخاص.

(٢) يتعرفون للفراسات أي يتوسلون إليها لتعرفهم.

(٣) أي اجعل لرئاسة كل دائرة من دوائر الأعمال رئيساً من الكتاب مقتدراً على ضبطها لا يقهره عظيم تلك الأعمال ولا يخرج عن ضبطه كثيرها.

(٤) إذا تغابيت أي تغافلت عن عيب في كتابك كان ذلك العيب لأصقابك.

(٥) ثم استوص انتقال من الكلام في الكتاب إلى الكلام في التجار والصناع.

(٦) المتردد بماله بين البلدان والمترفق المتكسب والمرافق تقدم تفسيرها بالمنافع وحقيقتها وهي المراد هنا ما به يتم الانتفاع كالآنية والأدوات وما يشبه ذلك.

(٧) أي ويجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة.

(٨) فإنهم علة لاستوص وواص والبائقة الداهية. والتجار والصناع مسالمون لا تخشى منهم داهية العصيان.

(٩) الضيق عسر المعاملة والشح والبخل. والاحتكار حبس المطعوم ونحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة.

(١٠) المبتاع: المشتري.

(١١) قارف أي خالط والحكر بالضم الاحتكار. فمن أتى عمل الاحتكار بعد النهي عنه فنكل به أي أوقع به النكال والعذاب عقوبة له لكن من غير إسراف في العقوبة ولا تجاوز عن حد العدل فيها.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البوسي والزمنى[1] فإن هذه الطبقة قانعاً ومعتراً[2] واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد[3] فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى.

وكل قد استرعيت حقه. فلا يشغلنك عنهم بطر[4] فإنك لا تعذر بتضييعك التافه[5] لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم[6] ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون[7] وتحقره الرجال. ففرغ لأولئك ثقتك[8] ومن أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالأعذار على الله يوم تلقاه[9] فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتم[10] وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل. والحق كله ثقيل. وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق وعد الله لهم.

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً[11] تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك[12] من أحراسك وشرطك حتى

---

(١) البوسي بضم أوله شدة الفقر والزمنى بفتح أوله جمع زمان وهو المصاب بالزمانه بفتح الزاي أي العاهة يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب.

(٢) القانع السائل من قنع كمن أي سأل وخضع وذلك وقد تبدل القاف كافاً فيقال كنع والمعتر بتشديد الراء المتعرض للعطاء بلا سؤال واستحفظك طلب منك حفظه.

(٣) صوافي الإسلام جمع صافية وهي أرض الغنمية وغلاتها ثمراتها.

(٤) طغيان بالنعمة.

(٥) التافه القليل لا تعتذر بتضييعه إذا حكمت واتقنت الكثير المهم.

(٦) لا تشخص: أي لا تصرف همك أي اهتمامك عن ملاحظة شئونهم وصعر خده أماله إعجاباً وكبراً.

(٧) تقتحمه العين تكره أن تنظر إليه احتقاراً.

(٨) فرغ أي اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم يخافون الله ويتواضعون لعظمته لا يأنفون من تعرف حال الفقراء ليرفعوها إليك.

(٩) بالأعذار إلى الله أي بما يقدم لك عذراً عنده.

(١٠) الأيتام. وذو الرقة في السن المتقدمون فيه.

(١١) لذوي الاحتياجات أي المتظلمين لتفرغ فيه بشخصك للنظر في مظالمهم.

(١٢) تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك الخ... والأحراس جمع حرس بالتحريك من يحرس الحاكم من وصول المكروه والشرط بضم ففتح طائفة من أعوان الحاكم وهم المعروفون الآن بالضابطة.

يكلمك متكلمهم غير متتعتع[١٤] فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في غير موطن[١٥] (لن تقدس أمة[١٦] لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع). ثم احتمل الخرق منهم والعي[١٧] ونح عنه الضيق والأنف[١] يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنيئاً[٢] وأمنع في إجمال وأعذار. ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها. منها إجابة عمالك بما يعي عنه كتابك[٣].

ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تحرج به صدور أعوانك[٤] وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام[٥] وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص فيه لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص[٦] بالغاً من بدنك ما بلغ وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً[٧] فإن في الناس من به العلة وله الحاجة ، وقد سألت الرسول عليه الصلاة والسلام حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال (صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً).

وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من

---

(١٣) التتعتة في الكلام التردد فيه من عجز وعي والمراد غير خائف تعبيراً باللازم.

(١٤) أي في مواطن كثيرة.

(١٥) التقديس: التطهير أي لا يطهر الله أمة الخ...

(١٦) الخرق بالضم العنف ضد الرفق والعي بالكسر العجز عن النطق أي لا تضجر من هذا ولا تغضب لذلك.

(١) الضيق ضيق الصدر بسوء الخلق والأنف محركة الاستكاف والاستكبار. وأكناف الرحمة أطرافها.

(٢) سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر.

(٣) يعي: يعجز.

(٤) حرج يحرج من باب تعب ضاق. والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ويحبون المماطلة في قضائها استجلاباً للمنفعة أو إظهاراً للجبروت.

(٥) أجزلها أعظمها.

(٦) غير مثلوم أي غير مخدوش بشيء من التقصير ولا مخروق بالرياء وبالغاً حال بعد الأحوال السابقة أي وإن بلغ من أتعاب بدنك أي مبلغ.

(٧) التنفير بالتطويل. والتضييع بالنقص في الأركان. والمطلوب التوسط.

الأمور وليست على الحق سمات[٨] تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وإنما أنت أحد رجلين.

إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك[٩] من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه. أو مبتلى بالمنع فما أسع كف الناس عن مسألتك إذا يئسوا من ذلك[١٠] مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة[١١] أو طلب إنصاف في معاملة.

ثم للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال[١] ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحاميتك قطيعة[٢] ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك الهم دونك[٣] وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإن مغبة ذلك محمودة[٤].

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فاصحر لهم بعذرك[٥] واعدل عنك ظنونهم بأصحارك فإن في ذلك رياضةً منك لنفسك ورفقاً برعيتك وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

---

(٨) سمات جمع سمة بكسر ففتح العلامة أي ليس للحق علامات ظاهرة يتميز بها الصدق من الكذب وإنما يعرف ذلك بالامتحان ولا يكون بالمخالطة.

(٩) فلاي سبب تحتجب عن الناس في أداء حقهم أو في عمل تمنحه إياهم.

(١٠) البذل العطاء فإن قنط الناس من قضاء مطالبهم منك أسرعوا إلى البعد عنك فلا حاجة للاحتجاب.

(١) شكاة بالفتح شكاية.

(٢) فاحسم أي اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم إنما يكون الأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف في شئون العامة.

(٣) الإقطاع المنحة من الأرض. والقطيعة الممنوح منها. والحامة كالطامة الخاصة والقرابة. والاعتقاد الامتلاك. والعقدة بالضم الضيعة. واعتقاد الضيعة اقتناؤها. وإذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها أي يقرب منها من الناس في شرب بالكسر وهو كالنصيب في الماء.

(٤) مهنأة: منفعة الهنيئة.

(٥) المغبة كمحبة العاقبة وإلزام الحق لمن لزمهم وإن ثقل على الوالي وعليهم فهو محمود العاقبة بحفظ الدولة في الدنيا ونيل السعادة في الآخرة.

(٦) وإن فعلت فعلاً ظنت الرعية أن فيه حيفاً أي ظلماً فاصحر أي أبرز لهم وبين عذرك فيه. وعدل عنه كذا نحاه عنه والأصحار الظهور من اصحر إذا برز في الصحراء. ورياضة تعويداً لنفسك على العدل. والأعذار بتقديم العذر أو إبداؤه.

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضي فإن في الصلح دعة لجنودك[٦] وراحة من همومك وأمناً لبلادك.

ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل[٧] فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن. وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة[٨] فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة. دون ما أعطيت[٩] فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً

مع فرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود[١] وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمون[٢]....،،

لما استوبلوا من عواقب الغدر[٣] فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك[٤] ولا تختلن عدوك. فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أمضاه بين العباد برحمته[٥] وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره[٦] فلا أدغال ولا مدالسة[٧] ولا خداع فيه. ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل[٨] ولا تعولن على لحن قول بعد

---

(٧) الدعة محركة الراحة.

(٨) قارب أي تقرب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.

(٩) أصل معنى الذمة وجدان مودع في جبلة الإنسان ينبهه لرعاية حق ذي الحقوق عليه ويدفعه لأداء ما يجب عليه منها ثم أطلقت على معنى العهد وجعل العهد لباساً لمشابهته له في الوقاية من الضرر. وحاطه حفظه.

(١) الجنة بالضم الوقاية أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

(٢) الناس مبتدأ وأشد خبر والجملة خبر ليس يعني أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالعهود مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم حتى أن المشركين التزموا الوفاء فيما بينهم فأولى أن يلتزمه المسلمون.

(٣) أي حال كونهم دون المسلمين في الأخلاق والعقائد.

(٤) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أي مهلكة وما والفعل بعدها في تأويل مصدر أي استيبالهم.

(٥) خاس بعهده خان ولقضه والختل الخداع.

(٦) الأمن الأمان وأفضاه هنا بمعنى أفشاه وأصله المزيد من فضا فضوا من باب قعد أي اتسع فالرباعي بمعنى وسعه والسعة مجازية يراد بها الإفشاء والإنتشار والحريم ما حرم عليك أن تمسه والمنعة بالتحريك ما تمتنع به من القوة.

(٧) يستفيضون أي يفزعون إليه بسرعة.

(٨) الإدغال الإفساد والمدالسه الخيانة.

(٩) العلل جمع علة وهي في العقد والكلام بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله إلى غير المراد وذلك يطرأ على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته ولحن القول ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض فإذا تعلل بهذا المعاقد لك وطلب شيئاً لا يوافق ما أكدته وأخذت عليه الميثاق فلا تعول عليه وكذلك لو رأيت لقلاً من التزام العهد فلا تركن إلى لحن القول لتملص منه فخذ بأصرح الوجوه لك وعليك.

التأكيد والتوثيق ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبه[٩] فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك، إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة.

فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قوة البدن[١٠]. وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك[١١] أو سيفك أو يدك بعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء[١] فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين. وإياك والمن على رعيتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك[٢] أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فإن المن يبطل الإحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس[٣] قال الله تعالى (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) " الصف: ٣ ".

---

(١٠) وإن تحيط عطف على تبعة وتخاف أن تتوجه عليك من الله مطالبة بحقه في الوفاء الذي غدرته وياخذ الطلب بجميع أطرافك فلا يمكنك التخلص منه ويصعب عليك أن تسأل الله أن يقيلك من هذه المطالبة بعفو عنك في دنيا أو آخرة بعد ما تجرأت على عهده بالنقض.

(١١) القود بالتحريك القصاص وإضافته للبدن لأنه يقع عليه.

(٢) أفرط عليك عجل بما لم تكن تريده. أرد تأديباً فأعقب قتلاً وقوله فإن في الوكزة تعليل لإفراط. والوكزة بفتح فسكون الضربة بجمع الكف بضم الجيم أي قبضته وهي المعروفة باللكمة وقوله فلا تطمحن أي لا يرتفعن بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية إليهم في القتل الخطأ جواب الشرط.

(١)الإطراء المبالغة في الثناء والفرصة بالضم حادث يمكنك لو سعيت من الوصول لمقصدك والعجب في الإنسان من أشد الفرص لتمكين الشيطان من قصده وهو محق الإحسان بما يتبعه من الغرور والتعالي بالفعل على من وصل إليه أثره.

(٢) التزيد كالتقيد إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الافتخار.

(٣) المقت البغض والسخط.

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها أو التسقط فيها عند إمكانها[٤] أو اللجاجة فيها إذا تنكرت[٥] أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه.

وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة[٦] والتغابي عما يعني به مما قد وضح للعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم.

أملك حمية أنفك[٧] وسورة جدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة[٨] وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو فريضة في كتاب الله عز وجل، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها[٩] وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك؛ لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة[١] أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه[٢] مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة[٣] وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة إنا إليه

---

(٤) التسقط من قولهم تسقط في الخبر يتسقط إذا أخذه قليلاً يريد به هنا التهاون وفي نسخه التساقط بمد السين من ساقط الفرس عدوه إذا جاء مسترخياً.

(٥) تنكرت لم يعرف وجه الصواب فيها واللجاجة الإصرار على منازعة الأمر ليتم على عسر فيه والوهن الضعف.

(٦) احذر أن تخص نفسك بشيء تزيد به عن الناس وهو ما تجب فيه المساواة من الحقوق العامة والتغابي التغافل وما يعني به مبني للمجهول أي يهتم به.

(٧) يقال فلان حمي الأنف إذا كان أبياً يأنف الضيم أي أملك نفسك عند الغضب، والسورة بفتح السين وسكون الواو، والحدة بالفتح البأس والغرب بفتح فسكون الحد تشبيهاً له بحد السيف ونحوه.

(٨) البادرة ما يبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه. وإطلاق اللسان يزيد الغضب اتقادا والسكوت يطفيء من لهبه.

(٩) ضمير فيها يعود إلى جميع ما تقدم أي تذكر كل ذلك واعمل فيه مثل ما رأيتنا نعمل واحذر التأويل حسب الهوى.

(١) على متعلقة بقدره.

(٢) يريد من العذر الواضح العدل، فإنه عذر لك عند من قضيت عليه، وعذر عند الله فيمن أجريت عليه عقوبة أو حرمته من منفعة.

(٣) أي زيادة الكرامة أضعافاً.

راغبون. والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام.

دراسة تحليلية للحقوق التي وردت بالوثيقة

أولاً: الحق في أن يُحكم الإنسان بشريعة الله

وهو من الحقوق التي لا تقررها المواثيق الحديثة لحقوق الإنسان لأنها جميعاً تستبعد أحكام السماء وتجعل مرجعيتها ما تراه نافعاً للبشر، وصالحاً لهم، لكن لأن المنهج الإسلامي مختلف، والمرجعية الأساسية في الحكم هي لله ولأحكام الشريعة ، فإن هذا الحق يُعد أحد الحقوق الرئيسية للإنسان الذي يجب عدم التفريط فيه على الإطلاق ، وهو يحقق الآتي:

١- عدم تسلط الحاكم فرداً أو هيئة أو جماعة ، كذا فهو لا يسمح للسلطة التشريعية بإصدار تشريعات تحقق مصالح فئة على فئة أو تغلب إرادة جماعة على جماعة.

٢- وكنتيجة لذلك تقوم بضبط مقررات الحكام والهيئات وإخضاعها للمعايير التي نزلت من السماء لحكم الأرض.

٣- ولكي يجبر الحاكم على التراجع عن كل ما يخالف أحكام الله ، فإن هيئة قضائية كالمحكمة الدستورية العليا في مصر – على سبيل المثال – يمكنها أن تلغي كل قانون أو لائحة أو قرار يثبت لديها عدم دستوريته، والدستورية تعني التطابق بين أحكام الشريعة وبين القانون أو القرار، وهو الأمر القائم كما قلت في مصر وفي بعض الدول الإسلامية الأخرى التي يعتبر دستورها الشريعة الإسلامية هي المرجعية لسلامة العمل القانوني ، وبالتالي ألغت الكثير من القوانين التي تخالف الشريعة.

ولنرجع لوصايا علي –رضي الله عنه– للأشتر النخعي بهذا الخصوص:

١- أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها.

٢- وأمره بأن يرد إلى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب ، مما يشتبه عليه من الأمور اتباعاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ} فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه والرد إلى الرسول ، الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة.

٣- وبالنسبة لضمانة تطبيق العدل والحكم بما أنزل الله أمره باختيار((أفضل رعيته للحكم بين الناس ممن لا يضيق به الأمور، ولا تمحكه – أي يغضبه – الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه – بمعنى لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.. ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه – أي لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم دون أن يأتي على أقصى فهم بعد التأمل والتمحق في الأمور)). وتمضي الرسالة تتكلم عن الشروط الواجب توافرها في القضاة فتقول: ((وأخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرحهم عن اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء)).

٤- أما واجبات الوالي – أو الدولة الآن ، وما ينبغي أن تقدمه للقضاة فتلخصها الرسالة بقولها: (أكثر تعهد قضائه – أي تتبعه بالاستكشاف والتعرف والتأكد من سلامة الأحكام ومن توافر الشروط السابقة بالقضاة، ويوصيه بأن يقسم لهم في البذل ما يكفي لإزالة علته – أي أكثر له المكافأة والأجر حتى يكون ما يأخذه يكفيه في المعيشة وفي حفظ المنزلة – وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمح فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا).

ثانياً: حق الإنسان في أن يُحكم بالعدل

تعتبر العدالة إحدى القيم الرئيسية التي يجب أن تحققها للناس أية حكومة ناجحة، ولا يمكن أن يكون هناك حكم ناجح إلا إذا كان عادلاً والعدل –كما هو سائر بين العرب – هو أساس الملك. وتشيع في رسالة علي رضي الله عنه أفكار العدالة وضرورة تحقيقها في أكثر من موضع.

لذا العدل يعد أحد أهم الحقوق التي وردت في هذه الرسالة.

ونجد الإمام علي ينبه الأشتر في بداية الرسالة إلى أنه سيحكم مصر ، وهي بلد كبير سبق أن حكمها قبله حضارات وأمم سابقة يجب التنبه إلى كيف ساسوا هذه البلاد ليعتبر بتجربتهم ويحكم بخبرتهم وبالذات في مسائل العدل والإنصاف. ويقول الخطاب:

((اعلم يا مالك أني وقد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور ، وأن الناس ينتظرون من أمورك في مثل ما كنت فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول

فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت... ، ويعني ذلك أن الشح بالنفس ليس إبقائها كل ما تحب بل من الحرص عليها أن تحمل على ما تكره إن كان ذلك من الحق فرب محبوب يعقب هلاكاً ، ومكروه يحمد عاقبة)).

ونجده بعد ذلك يخاطبه على النحو الآتي: ((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من ظل على ظلم فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد)).

((وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية)).

ونجد في هذا الكتاب بلورة لحق لا يتحقق بسهولة الآن ، وهو الحق في الشكوى وتفرغ ولي الأمر لإقامة العدالة بين الناس بنفسه ، وبشكل سريع لا تؤخر فيه عمل اليوم إلى الغد وهذه عبارة الخطاب ((واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك ، من حراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فإني، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يقول: "لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع ". ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وإعذار)).

((ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها. منها إجابة عمالك بما يعي عنه كتابك ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تحرج به صدور أعوانك ، وأمض لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيا النية وسلمت منها الرعية)).

ومن أسس العدالة ، المساواة بين الناس ، والإحسان إلى المحسن ، والإساءة إلى المسيء وأخذه بذنبه لذا ينبه على الأشتر إلى أنه ((لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه)).

ويقول الإمام محمد عبده في شرح هذه الفقرة أن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب، والمحسن ألزم نفسه استحقاق الكرامة.

ومن وجوه العدالة التي نبه إليها الكتاب كذلك، حسن ظن الحاكم برعيته حتى تسود الثقة بينه وبينهم وعدم تكليفهم إلا بمقدورهم عملاً بقوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }البقرة٢٨٦.

لذا نستطيع أن نستخلص حقًّا من حقوق الإنسان لا تتحدث عنه الوثائق الحديثة هو حقه في ألا يكلف إلا بما يقدر عليه.

ويعتبر هذا الحق أساساً من أسس العدالة وتطبيقًا لهدف مهم من أهداف الشريعة الإسلامية وهو رفع الحرج والتيسير على الناس. وننقل هنا عبارات الإمام علي كرم الله وجهه: ((واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته ومن إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عنهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم. فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده).

ثالثاً: حق الإنسان في اختيار عناصر صالحة لحكمه

يضع الإمام علي خبرته في الناس لواليه على بلد مهم كمصر، ويُعطيه خصائص من يتولى مشورته فيستبعد هؤلاء من المشورة: (لا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشر بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله).

وممن يجب استبعادهم كذلك ((إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شاركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة ، فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة)). وعلى العكس فإنه يجب أن يستعمل بدلاً منهم (ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً وأقل لغيرك إلفاً).

* أما الصفات التي يجب أن يتحلى بها خاصة الإمام وأهل مشورته فهي:

١ – من الذي يقول لك الحق ولو كان مرًا. ((ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك)).

٢ – من لا يساعدك على ما تهوى مما يكره الله. ((وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأولئك واقعاً من هواك حيث وقع)).

٣ – أن يكون من أهل الورع والصدق. ((وألصق بأهل الورع والصدق)).

٤ – ضرورة منع المقربين من إطراء الوالي:

((رضهم على ألا يطروك،ولا يبجحوك – أي يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك لم تكن فعلته – بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة)).

ويكمل هذا الحق ضرورة مراقبة الحاكم للموظفين حتى لا يسيئوا معاملة الناس، وواجبه في أن يكون قريباً من الناس، يعرف مشاكلهم ، ويتولى بنفسه إنصاف المظلوم ، يقول الخطاب:

((وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وإنما أنت أحد رجلين ، إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجاجك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يئسوا من ذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة)).

ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحاميتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مئونته على علم غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة)).

رابعاً: الحق في الحياة

شدد الخطاب على احترام الحق في الحياة، وحذر الوالي في أن يتم التعدي على هذا الحق ، أو يتهاون في معاقبة من يسابه من أحد من الناس يقول: ((إياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس

شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمه وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه وتعالى مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة.

فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك يضعفه ويوهنه بل ويزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قوة البدن)).

وإذا كان القتل على سبيل الخطأ ، أو إذا كان ضرباً أفضى إلا موت من قبل الوالي نفسه ، فإن القاتل يلتزم بدفع الدية إلى أولياء المقتول ((وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم)).

خامساً: الحق في الخصوصية

نصت المواثيق الحديثة لحقوق الإنسان على حق الإنسان في الخصوصية، من ذلك ما ورد في العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية من أنه لا يجوز تعريض اي شخص على نحو تعسفي أو غير قانوني للتدخل في خصوصياته أو شئون أسرته أو بيته أو مراسلاته ولا لأي حملات غير قانونية تمس شرفه أو سمعته (المادة ١٧).

أما عبارة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقد وردت على النحو الآتي:

((ليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك)).

سادساً: حق العامل في أجر يكفيه

وهو من حقوق الإنسان الآن، ويرتبط تماماً بالحق في العمل، والحق في أجر يكفي الحاجة، وخطاب الإمام علي ينبه إلى أهمية هذا الحق، وإلى ضرورة أن يعطي الوالي لمن يقومون على أمر الناس حقهم من بيت المال. يقول الكتاب:

((واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة

السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكلاً قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وآله عهداً منه عندنا محفوظاً)).

((فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ، ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور و عوامها. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ، ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مالا يبلغه رفق غيرهم)).

سابعاً: الحق في الضمان الاجتماعي

كذلك يُولي كتاب الإمام الطبقة الضعيفة عناية خاصة ويوجب أن يعطوا ما يكفيهم من بيت المال حيث لكل فئة حقوق فيه وهذه هي عبارة الخطاب: ((ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل)).

فهذا هو الحق في الضمان الاجتماعي يجب على الوالي أن يعطيه للفقراء والمحتاجين ، فهو إذاً ليس حقًّا مستحدثاً وإنما له أصل في الإسلام منذ وقت طويل.

((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البوسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً ، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه ، لإحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالأعذار إلى الله يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه، وتعهد أهل اليتم، وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل. والحق كله ثقيل، وقد يخفف الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم)).

ثامناً: الحق في الوفاء بالعهد

وهو حق أساسي من حقوق الإنسان ، ولكنه يظهر أكثر في التعامل مع الأعداء ، ويقول الكتاب: ((ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر ، فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ، ولا تختلن عدوك. فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحريماً إلى منعته ويستفيضون إلى جواره فلا أدغال ولا مدالسة ، ولا خداع فيه. ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكد والتوثقة ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خير من غدر تخاف تبعته وإن تحيط بك من الله فيه طلبة ، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك)).

* خاتمـــــة

وهكذا حاولنا أن نستخلص ما ورد في الرسالة من الحقوق، ولكن الرسالة في الواقع من أبلغ الوثائق معنى ولفظاً ويجب أن تدرس هي وغيرها ويركز على ما فيها من قواعد ومبادئ أخرى لا تتصل بالضرورة بحقوق الإنسان وحرياته ، وإنما تتصل بدستور العلاقة بين الحاكم والمحكوم بشكل عام ، وهي تتناول فنوناً واضحة للتعامل تنبع من تعاليم الإسلام وأسسه ويدخل غالبها في باب السياسة الشرعية.ونود التركيز على أن أهم ضمان للحقوق هو تقوى الله سبحانه وتعالى والإحساس بأنه يراقبنا في السر والعلن ، وتقوية المحكومين بالثقة فيهم بشريعة الله سبحانه وتعالى. وقد ورد بالوثيقة العديد من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية بالمفهوم الحديث ، تعرضنا لبعضها وهو الحق في العمل والأجر العادل ، وفي حد من الدخل تكفله الدولة لمن يحتاج إليه ، لكن الوثيقة متضمنة لحقوق أخرى كثيرة ، إنني أكتفي الآن باب مهم لدراسات لوثائق مهمة موجودة بكثرة في تاريخنا وتحتاج إلى كثير من الصبر للكشف عن معانيها ولبيان ما فيها من أحكام تفصل المجمل من

أحكام الكتاب والسنة. وترينا كيف فهم القادة والأئمة والعلماء هذه النصوص ، وكيف قاموا بتطبيقها في حياة الأمة الإسلامية.

إننا نحتاج إلى الكشف عن كنوزنا واستخدام بضاعتنا بدلاً من الجري وراء غيرنا ، واستخدام معايير لحياتنا تختلف عن الأصالة التي نجدها في تاريخنا وتراثنا.

وبعد ، فالله نرجو أن يوفقنا ويسدد خطانا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.